

## القرعة

بقلم: شيرلي جاكسون (1948)

ترجمة: عبّاد ديرانية

كانت الشمس مُشرقةً والسماء صافيةً في صباح 27 يونيو، جالبةً معها دفئاً يوم آخر من أيام الصيف، حيث تفتحت الأزهارُ في الحدائق، واخضرَّ العشبُ في المروج. وبدأ أهل البلدة، مع حلول الساعة العاشرة صباحاً، بالتجمع في الساحة العامة الواقعة بين مكتب البريد والمصرف. كان سكان بعض المدن كثيرين جداً بحيث أقيمت القرعة فيها على مدى يومين مُتتاليين، بدءاً من الثاني من يونيو، إلا أن أهالي هذه القرية لم يتجاوزوا الثلاثمائة شخص، ولذلك لم تحتج القرعة هنا سوى لساعتين على الأكثر. وفي ظل هذه الحال، كان بإمكان القرويين القدوم إلى الساحة منذ الساعة العاشرة، وسيبقى لديهم ما يكفي من الوقت - عند الانتهاء - ليعودوا إلى منازلهم قبل موعد الغداء.

كان أولُ الواصلين - بالطبع - من الأطفال، فقد انتهت السنة الدراسية منذ فترة قصيرة، وبدأ أن معظمهم لم يكونوا مُرتاحين من كثرة وقت فراغهم الآن. فقد أصبحوا يقضون معظم اليوم في التجمع معاً والجلوس بهدوء، ومن ثمّ يندمجون فجأةً بلعبةٍ صاخبة، ولكن جُلّ أحاديثهم ظلّت عن صفوفهم الدراسية، وكتبهم، وأساتذتهم، والعقوبات التي كانوا يُعرضونهم لها. ولم يُضَيّع بوبي مارتن الوقت، فقد حشا جيبه سلفاً بالحجارة، وعندما رآه الأولاد الآخرون اقتدوا به فبدؤوا في جمع الحصى وانتقائها بعناية لتكون مُدوّرة وملساء جداً، وفي نهاية المطاف نجح بوبي وهاري جونز وديكي ديلاكوري بحصد كومةٍ هائلةٍ من الحصى بطرفٍ من ساحة البلدة، ووقفوا حولها لحراستها من هجمات الأولاد الآخرين. وأما الفتيات فقد اكتفين بالوقوف بعيداً والتهامس فيما بينهنّ، واختلاس النظر إلى إخوانهنّ وأخواتهنّ الأكبر سنّاً.

لم يطل الوقت حتى وصل الرجال أيضاً، وشرعوا بمراقبة أولادهم، أو تبادل الأحاديث عن المحاصيل والطقس، أو عن السيارات والضرائب. تجمّع الرجال في بقعةٍ بعيدةٍ عن كومة الحصى، ولم يلقوا سوى بمزحاتٍ لائقة، وآثروا تبادل الابتسامات الصامتة على الضحك بصوتٍ مرتفع. وصلت النساء بعد أزواجهنّ بفترةٍ قصيرة، مرتدينّ ملابسهنّ المنزلية المهترئة، وقد انشغلنّ بالترحيب ببعضهنّ والحديث عن آخر الشائعات في البلدة، بينما مشينّ نحو أزواجهنّ للانضمام إليهن. نادت النساء أولادهنّ فلم يأت هؤلاء إلا على مَضَض، بعد أن دفعوا أمهاتهم إلى ذكر أسمائهم أربع أو خمس مرات متتالية. ونجح بوبي مارتن بالتملّص من ذراع أمّه فاندفع يجري - ضاحكاً - ليذهب إلى كومة الحصى مرة أخرى، إلا أن والده ناداه بصوتٍ غاضب، فرجع بوبي على الفور واتّخذ مكاناً بين والده وأخيه الأكبر.

كان السيد سمرٌ مشرفاً على القرعة، كما كان يشرف على معظم النشاطات العامة الأخرى في البلدة من الرقصات الجماعية وأندية المراهقين واحتفالات الهالوين، نظراً لوقت فراغه الكبير ورغبته بالعطاء. كان السيد سمر إنساناً مرحاً ذا وجه مُستدير يعمل في إدارة تجارة الفحم، وكان أهل القرية يتعاطفون معه لأن زوجته سليطةٌ ولأنها لم تُنجب له أولاداً. وقد وصل إلى الساحة العامة وهو يحمل صندوقاً خشبياً أسود اللون، وفي تلك الأثناء كان القرويون يتهايمسون فيما بينهم، فلوح إليهم قائلاً: "تأخّرتُم قليلاً أيها الرفاق". ومن ثم تبعه مدير البريد - السيد غريفيز - حاملاً معه مقعداً ذا ثلاثة أرجل، وضعه في منتصف الساحة ليكون منصّةً للصندوق الأسود. لم يشأ القرويون الاقتراب كثيراً من الصندوق، إذ تجمّعوا أمامه في توجُّس، وعندما قال السيد سمر مستفسراً: "هل منكم، أيها الرفاق، من يرغب في مساعدتي؟"، تردّد معظمهم حتى تقدّم مُنطوِّعان للمساعدة. حيث جاء السيد مارتن وابنه الأكبر، باكستر، لتثبيت الصندوق الأسود فوق المقعد بينما خلط السيد سمر الأوراق في داخل الصندوق.

والواقع أن الأدوات الأصلية المستخدمة في إجراء القرعة ضاعت منذ زمن طويل، إذ بدأ القرويون باستخدام الصندوق الأسود المتواجد الآن من قبل ولادة العجوز وُرُتر نفسه (وهو الرجل الأكبر سنّاً في البلدة). ولهذا السبب اقترح السيد سمر - مراراً - على الأهالي ضرورة صنْع صندوقٍ جديد، ولكن أحداً منهم لم يشأ التدخل في تقاليد القرعة المتوارثة،

حتى فيما يختص بصندوقها. يُقال أحياناً أنّ هذا الصندوق الأسود رُمّم من أشلاء الصندوق الذي سبقه، الذي كان صانعه أوائل الناس الذين استوطنوا في هذه البقعة وعَمَرُوا فيها البلدة. ولا تكادُ القرعة تنتهي، في كلِّ سنة، حتى يعود السيد سمر للحديث عن إعداد صندوقٍ جديد، إلا أنّ الأهالي يتجاهلون الموضوع إلى أن ينسى أمره. وقد اهترأ هذا الصندوق الأسود عاماً بعد عامٍ بحيث لم يعد أسود اللون تماماً، إذ تقشّر دهانُهُ من بعض الجهات ليكشف عن لونه الخشبي الأصلي.

سندَ السيد مارتن وابنه الأكبر (باكستر) الصندوق الأسود حتى انتهى السيد سمر من خلط الأوراق في الداخل بيديه. وقد نجح السيد سمر مؤخراً، بفضل التغييرات الكثيرة التي جلبها الزمنُ في تقاليد القرعة، بإقناع الناس باستبدال رقاقات الخشب - التي كانت مستعملةً منذُ قرونٍ - بقصاصاتٍ من الورق. والسببُ في ذلك، من وجهة نظره، هو أن رقاقات الخشب كانت ممتازة عندما كانت البلدة صغيرةً وبسيطة، وأما الآن وقد زاد عددُ الأهالي عن ثلاثمائة شخصٍ (ولا زال في ارتفاع) فإنّ الصندوق لم يعد قادراً على استيعاب هذا الكمّ من البطاقات الخشبيّة. كان السيدان سمر وغريفيز قد سهرا الليل في اليوم السابق لتجهيز قُصاصات الورق ووضعها داخل الصندوق، ومن ثمّ أخذاه إلى مقرِّ شركة الفحم التي يملكها السيد سمر، وظلّ الصندوق بأمانٍ هناك حتى الصباح الآتي. وأما خلال باقي السنة فكان الصندوق يُرمَى في أماكن مختلفة، فقد قضى أحدُ الأعوام في حظيرة السيد غريفيز، وقضى عاماً آخر في مكتب البريد، وأحياناً كان يُترك على أحد رفوف متجر عائلة مارتن.

وقعت الكثيرُ من الجلبة عندما استعدَّ السيد سمر للإعلان عن افتتاح القرعة، إذ كان عليه المناداة على قوائم مسبقة بأسماء جميع أرباب الأسر وعائلاتهم في البلدة كلّها. وكان يجبُ على مدير مكتب البريد أن يستمع - قبل البدء - لقسم السيد سمر بأداء مهامه على أكمل وجهٍ بصفته مُشرفاً للقرعة، وبحسب ما تذكّره بعض المتفرّجين فإنّ ثمة أنشودة رسميةً كان على مشرف القرعة أن يلقيها عند تسلّم مهمته، ولم يكن لهذه الأنشودة أيُّ لحنٍ أو وقع في قلوب الناس، ولكن بعضهم غلب على ظنهم أنّ مشرف القرعة كان يقف لينشئها كلّ عام، بينما ظلّ آخرون أنّه كان يسير بين الجمهور عند إنشادها، ومهما تكن الحقيقة، فإنّ تقادم السنين قد محا هذا الجزء من تقاليد القرعة إلى الأبد. كما كان من المتبع أن ينادي مشرف القرعة على الناس بتحيّة خاصة عندما يطلبُ منهم القدوم لسحب أوراقهم من الصندوق، إلا أنّ الزمن غير من هذا التقليد أيضاً حتى تحوّل إلى محض كلمات ترحيبٍ عادية. ولكن السيد سمر ظلّ مُتميّزاً بمهارته السديدة في إجراء كلّ هذه الأمور: فقد كان واقفاً إلى جانب الصندوق الأسود مرتدياً قميصه الأبيض النظيف وبنطاله الجنزّي الأزرق مثل رجلٍ راقٍ ومهمّ جداً، بينما تبادل أحاديث كثيرةً جداً مع السيّدَيْن غريفيز ومارتن.

وأخيراً توقّف السيد سمر عن الكلام مع زميليه والتقت نحو جمهور القرويين، وفي تلك اللحظة تحديداً وصلت السيدة هنتشينسون مهرولةً على الطريق المؤدّي للساحة، وقد رمت بردائها الصوفي فوق كتفيها، وانسلت إلى بقعةٍ بين الجمهور في الخلف. قالت للسيدة ديلاكوري الواقعة إلى جانبها: "تسببت تماماً في أيّ يوم نحن"، ومن ثم ضحكت المرأتان معاً بصوتٍ منخفض. تابعت السيدة هنتشينسون: "ظننتُ أن زوجي المُسين كان يجمع الحطب مرّة أخرى، ومن ثمّ نظرتُ من النافذة فلم أجد الأطفال، وذكّرتني ذلك بأننا في اليوم السابع والعشرين، فجنّتُ مسرعة". جفّفت السيدة هنتشينسون يديها بمنزرها، بينما قالت لها السيدة ديلاكوري: "جنّبت على الوقت، فهم لا زالوا يتجادلون الأحاديث".

ومدّت السيدة هنتشينسون رقبتهما فوق الجمهور لتستطيع رؤية ما يحدث، ولاحظت أن زوجها وأطفالها واقفون بالقرب من المُقدّمة، فربّنت على ذراع السيدة ديلاكوري مُودعةً وشفت طريقيها بين الناس. وقد أفسح لها معظم الواقفين المجال بمودة، وقال شخصان أو ثلاثة (بأصواتٍ مرتفعةٍ كفايةً ليسمعها باقي الجمهور): "ها قد أنت إليكم السيّدة هنتشينسون"، و"بل، تمكّنت زوجتك من المجيء في نهاية المطاف!". وانتظر السيد سمر حتى وصلت السيدة هنتشينسون إلى زوجها وعائلتها، حتى قال بمرح: "اعتقدتُ أننا سنضطرُّ للبدء بدونك يا تيسي"، وابتسمت السيدة هنتشينسون قائلة: "هل كنتُ لتتوقّع مني أن أترك أطباقي المُتسخة في الحوض يا جوي؟"، وعندها سرت ضحكاتٌ خفيفةٌ بين الجمهور، وانشغل الكثيرون منهم بالعودة إلى أماكنهم السابقة بعد مرور السيدة هنتشينسون من بينهم.

قال السيد سمر بوقار: "حسنٌ جداً، أظنُّ أن من الأفضل أن نشرع بالأمر وننتهي منه بسرعة، لكي نتمكن من العودة إلى أعمالنا. هل من أحدٍ غير موجود؟".

قال بضعة أشخاص: "دونبار"، وتكرَّر النداء: "دونبار، دونبار".

قرأ السيد سمر من قائمة أمسكها في يده: "كلايد دونبار، صحيح. ألم تتكسر ساقه مؤخراً؟ من سيسحبُ بالنيابة عنه؟".

قالت امرأة بين الجمهور: "أنا على ما أعتقد"، فالتفت نحوها السيد سمر قائلاً: "زوجةٌ تسحبُ لزوجها. أليس لديك ابنٌ راشدٌ قادرٌ على السحب بالنيابة عنكما يا جاني؟". وكان السيد سمر، مثله في ذلك مثل جميع أهل البلدة، يعرفُ تماماً إجابة هذا السؤال، ولكن واحدةً من مهامه - بصفته مدير القرعة - تقتضي أن يُوجِّه أسئلةً رسميةً للناس. ولذلك انتظرَ السيد سمر إجابة سؤاله وقد ارتسمت على وجهه ملامحُ ترقبٍ مُهذَّبة.

قالت السيدة دونبار بأسى: "ابني هوريس لا يزال ذا ستة عشر ربيعاً. أظنُّ أن عليَّ أخذ مكان زوجي العجوز بنفسي لهذا العام".

قال السيد سمر: "حسناً"، ودَوَّن ملاحظة على القائمة التي في يده. ومن ثمَّ قال: "هل سيسحبُ واطسون الابنُ هذا العام؟".

وعندها رفع فتى طويلٌ بين الجمهور يده قائلاً: "سأسحبُ بالنيابة عني وعن والدتي". ومن ثمَّ رمشت عيناه وأخفض رأسه علامةً على ارتبائه، بينما قال عدَّة أشخاصٍ من حوله: "فتى جيِّدٌ يا جاك"، و"يسعدني أن لدى أمك رجلاً لينوب عنها".

قال السيد سمر: "جيِّد، أظنُّ أن الجميع جاهزون. هل استطاع العجوز وُرُزَّ المجيء؟".

قال صوت: "ها أنا"، فأوماً السيد سمر برأسه.

وعندما هبَّ السيد سمر حنجرته ونظر إلى قائمته استعداداً للكلام سرا صمَّت مفاجئاً بين الجمهور: "هل الجميع مستعدون؟ سأقرأ الآن أسماءكم. سيبدأ أربابُ الأسر أولاً، حيث على كلِّ رجلٍ أن يأتي ويسحبُ ورقة من الصندوق. أبقوا الأوراق مطويةً في أيديكم ولا تنظروا إليها حتى ينتهي الجميع من السَّحب. أهذا واضح؟".

وكان كلُّ من في الساحة قد مرَّ بهذه التجربة مرَّاتٍ كثيرة جداً بحيث أنهم بالكاد استمعوا لكلامه، وظلَّ معظمهم صامتين، منشغلين بتطريب شفاههم، وعدم النَّظر من حولهم. ومن ثمَّ رفع السيد سمر إحدى يديه وقال: "أدمز"، فانسَلَّ رجلٌ من بين الجمهور وتقدَّم للأمام. قال السيد سمر: "مرحباً يا ستيف"، فردَّ عليه السيد آدمز: "أهلاً يا جوي"، وتبادلا ابتساماتٍ جافةً مُرتبكة. وبعدها مدَّ السيد آدمز يده داخل الصندوق الأسود والنقطة ورقة مطوية، وأمسكها بقوة من طرفها بينما استدار وعاد مُسرِعاً إلى مكانه بين الواقفين. اتَّخذَ السيد آدمز لنفسه مكاناً يفصله قليلاً عن عائلته، مُتجنباً النظر إلى يده أو الورقة التي فيها.

قال السيد سمر: "الين"، وتابع: "أندرسون... بِنْتَام".

قالت السيدة ديلاكوري للسيدة غريفز في الصَّف الخلفي: "أشعرُ بأنَّ القرعة لم تعد تنتهي حتى تبدأ التي تليها في هذه الأيام".

قالت السيدة غريفز: "يبدو لي وكأنَّ آخر قرعةٍ كانت في الأسبوع الماضي"، وأضافت: "الأيام تمضي بسرعة فعلاً".

"كلارك ... ديلاكوري".

قالت السيدة ديلاكوري: "ها قد أتى دور زوجي المُسِنَّ"، وحبست أنفاسها بينما سار زوجها للأمام.

قال السيد سمر: "دونبار"، ومشت السيدة دونبار بثقة إلى الصندوق بينما قالت إحدى النساء: "ها هي ذا"، وقالت أخرى: "أنتِ لها يا جاني".

قالت السيدة غريفز: "دورنا هو التالي"، وراقبت زوجها وهو يأتي من الجهة المقابلة للصندوق، وحيَّت السيد سمر بجفاء ثمَّ سحبت ورقةً من الصندوق. وفي ذلك الوقت أصبح بين الجمهور رجالٌ كثيرون يمسكون في أيديهم قُصاصاتٍ مطوية من الورق، يُقلِّبونها من جهةٍ للأخرى متوتِّرين، ووقفت بينهم السيدة دونبار مع ابنيها ممسكةً بورقتها.

"هاربرت ... هتشييسون".

قالت السيدة هتشييسون لزوجها: "تحرك يا بل"، فيما ضحك الناس حولهما.

"جونز".

قال السيد آدمز للعجوز وُرُنر - الواقف إلى جانبه -: "سمعتُ أنّ في قرى الشمال أحاديثاً عن إلغاء القرعة".

فزمر العجوز وُرُنر قائلاً: "تُلّة من الحمقى المجانين. لا بُدَّ أنهم يستمعون لصغار السنّ السُدَّج هولاء، فلا شيء يعجبهم أبداً. لعلهم سيطلبون منا - بعد ذلك - أن نعود للحياة في الكهوف، وأن لا يتعب أحدٌ منا نفسه بالعمل. كانوا يقولون بالماضي 'قرعة في حزيران، وتتهال عليك نرة مثل النيران'. لو استمعنا إليهم، ستجدنا جميعاً ولم يُعد لنا طعامٌ سوى حساء البلوط. لقد كانت لدينا قرعة دائماً، ويجب أن تبقى دائماً". وأضاف بجِدّة: "يكفيك أن ترى السيد سمر الغرّ هناك وهو يتبادل النكات مع الجميع".

قال السيد آدمز: "بعض البلدات تخلّت عن القرعة بالفعل".

قال العجوز ورنر بعناد: "لن يجلب لهم ذلك سوى المزيد من المشكلات، تُلّة من الصّغار السُدَّج".

"مارتن"، وراقب بوبي مارتن والده يتقدّم للأمام. "أوفردايك ... بيرسي".

قالت السيدة دونبار: "أتمنى لو يُسرعون، أتمنى لو يُسرعون".

قال ابنها: "كادوا ينتهون".

قالت السيدة دونبار: "استعد لتذهب بالنبا إلى والدك".

نادى السيد سمر على اسمه ذاته، فأخذ خطوة دقيقةً للأمام واختار ورقة من الصندوق. وبعدها قال: "ورنر".

قال السيد ورنر فيما شقَّ طريقه بين الحشْد: "سبعة وسبعون عاماً وأنا أحضر القرعة"، وأضاف: "هذه المرة السابعة والسبعون لي".

"واطسون"، وسار الفتى الطويل ببلاهة بين الجمهور، فقال أحدهم: "لا تكن مرتبكاً يا جاك"، وقال السيد سمر: "خُذ وقتك يا بني".

"يانيني".

وتلا ذلك الاسم هدوءً طويلاً، هدوءً حبيسُ الأنفاس، حتى قال السيد سمر وهو يمسك بقصاصته الورقية في يده: "حسناً أيها الرفاق". ولم يتحرك أحدٌ لدقيقة كاملة، ومن ثم فُتحت جميع قصاصات الورق في الآن ذاته. وأخذت جميع النساء بالحديث معاً قائلات: "من هو؟"، "من أخذها؟"، "هل هم آل دونبار؟"، "أتراهم آل واطسون؟". وبعد لحظاتٍ بدأ الجميع يقولون: "إنهم آل هتشينسون. إنه بل"، "أخذها بل".

وقالت السيدة دونبار لابنها الأكبر: "اجر لتخبر والدك".

واستدار الجميع لينظروا إلى أسرة هتشينسون. وقف بل هتشينسون في صمت، متأملاً الورقة في يده. وفجأة صاحت السيدة هتشينسون في السيد سمر: "أنت لم تعطه الوقت الكافي ليختار ورقته، لقد رأيتك، لم يكن هذا عادلاً!".

قالت السيدة ديلاكوري: "التزمي بروح رياضية يا تيسي"، وقالت السيدة غريفز: "جميعنا أخذنا فرصاً متساوية".

قال بل هتشينسون: "اصمتي يا تيسي".

قال السيد سمر: "حسناً جميعاً، قمنا بالسحب بسرعةٍ ممتازة، ولكن علينا الإسراعُ أكثر قليلاً لننتهي في الوقت المُحدّد". ونظرَ إلى القائمة في يده وقال: "بل، أنت تسحب بالنيابة عن آل هتشينسون. هل توجد أي أسرٍ أخرى باسم هتشينسون هنا؟".

قالت السيدة هتشينسون: "الدون وإيفا الحقّ بالقرعة أيضاً!".

قال السيد سمر بوقار: "الفتيات المُتزوجات يسحبْنَ مع عائلات أزواجهنَّ. أنتِ تعلمين هذا كما يعلمه الجميع".

قالت تيسي: "هذا لم يكن عادلاً".

قال بل هتشينسون بأسى: "اتفق معك يا جوي. ابنتاي تسحبان مع عائلتي زوجيهما، وهذا عادلٌ تماماً. وليست لي عائلة أخرى ما عدا أطفالي".

فقال السيد سمر مُفسراً: "إذا حسب قانون السحب للأسر، فالقرعة عليك، وبحسب قانون السحب للعائلات، فالقرعة عليك أيضاً. صحيح؟".

قال بل هتشينسون: "صحيح".

سأل السيد سمر بنبرةٍ رسمية: "كم عدد أطفالك يا بل؟".

قال بل هتشينسون: "ثلاثة. فنمة بل الابن، ونانسي، وديف الصغير. وتيسي وأنا".

قال السيد سمر: "حسناً جداً. هاري، هل أخذت منهم أوراقهم؟".

أوماً السيد غريفيز وأمسك بقصاصاتٍ من الورق، فوجَّههُ السيد سمر قائلاً: "إذاً أعدّها إلى الصندوق، وخذ من بل ورقته وضعها أيضاً".

قالت السيدة هتشينسون بأكثر هدوء استطاعته: "أظن أن علينا إعادة القرعة من البداية. أخبركم أنها لم تكن عادلة. أنت لم تمنحه ما يكفي من الوقت ليختار، وقد رأى الجميع ذلك".

اختار السيد غريفيز قصاصات الورق الخمس، العائدة إلى آل هتشينسون، ووضعها في الصندوق. وأما الأوراق الأخرى فقد رماها جميعاً إلى الأرض، فبعثرها الهواء وحملها بعيداً.

قالت السيدة هتشينسون للناس الواقفين حولها: "اسمعوني جميعاً".

سأل السيد سمر: "هل أنت مستعد يا بل؟". فأخذ بل هتشينسون لمحةً سريعةً نحو زوجته وأطفاله، وأوماً موافقاً.

قال السيد سمر: "تذكروا، خذوا الأوراق وأبقوها مطويةً حتى ينتهي الجميع من السحب. هاري، عليك بمساعدة ديف الصغير". فأمسك السيد غريفيز بيد الفتى الصغير وقاده إلى الصندوق، فقال السيد سمر: "اختر ورقة من الصندوق يا ديفي". ودسّ ديف يده في داخل الصندوق وضحك. أضاف السيد سمر: "خذ ورقةً واحدةً فحسب. هاري، أمسكها له". أخذ السيد غريفيز قصاصات الورق من يد الطفل وأمسك بها، بينما تأمله ديف الصغير إلى جانبه بدهشة.

قال السيد سمر: "نانسي هي التالية". وكانت نانسي فتاة ذات اثني عشر عاماً، وقد تسمّرت صديقاتها في المدرسة وهنّ يراقبها تسيّر - مُعدّلة تنورتها - وتسحب ورقة من الصندوق بعناية. قال السيد سمر: "بل الابن"، وكاد يبلي، بوجهه الأحمر وقدميه الكبيرتين، يُسقط الصندوق من مكانه أثناء أخذ ورقته. قال السيد سمر: "تيسي"، فتردّدت لدقيقة، ونظرت حولها ببأس، ثمّ زمت شفنيها وذهبت للصندوق، وخطفت ورقة وخبأتها وراء ظهرها.

قال السيد سمر: "بل". فمدّ بل هتشينسون يده إلى الصندوق وتلمسه من كلّ جانب، وأخيراً أخرج يده وقد أمسك بها بورقة مطوية.

كان الجمهور صامتاً تماماً. همست إحدى الفتيات: "أتمنى أنها ليست نانسي"، ووصل صوت همستها إلى جميع الواقفين.

قال العجوز ورنر بصوتٍ طبيعي: "لم يكن الأمر يسير بهذه الطريقة، لم يعد الناس كما كانوا".

قال السيد سمر: "حسنٌ جداً، افتحوا أوراقكم. هاري، أنت افتح ورقة ديفي الصغير".

فتح السيد غريفيز قصاصات الورق العائدة لديف الصغير، وتنفّس معظم الناس الصعداء عندما رفعها عالياً ليروا أنها كانت بيضاء ناصعة. وأما نانسي وبل الابن فقد فتحا ورقتهما في الآن ذاته، وابتهجا وضحكا معاً عندها واستدارا نحو الجمهور رافعين ورقتهما الخاليتين.

قال السيد سمر: "تيسي"، وصمت الجميع، ونظر السيد سمر إلى بل هتشينسون، ففتح بل ورقته أمام الناس، وكانت خالية أيضاً.

قال السيد سمر: "هي تيسي إذاً"، واختنق صوته وهو يكمل: "أرنا ورقتها يا بل".

مشى بل هتشينسون إلى زوجته وانتزع ورقتها بالقوة. كانت عليها بقعة سوداء، وهي بقعة رسمها السيد سمر في الليلة الماضية، مستعيناً بقلم رصاص قويّ من مكتب شركة الفحم. رفع بل الورقة ليراها الجمهور، ممّا أثار الكثير من الجلبة.

قال السيد سمر: "حسنٌ يا رفاق، دعونا ننتهي من الأمر سريعاً".

وكان القرويون قد نسوا الكثير من تعاليم القرعة القديمة، بل وأضاعوا صندوقها الأسود السابق، لكنّهم لم ينسوا جزئية الحجارة. كانت لا تزال كومة الحصى التي جمعها الأولاد في الصباح بمكانها، وقد تناثرت فوقها بعضُ قصاصات الورق (التي كانت في الصندوق من قبل) بعد أن حملها الهواء إلى هنا. اختارت السيدة ديلاكوري حجراً ضخماً جداً بحيثُ أنّها احتاجت لحمله بكلتي يديها، واستدارت نحو السيدة دونبار قائلة: "هياً بك، أسرع".

حمل السيد دونبار حجارة صغيرة في كلّ واحدةٍ من يديه، وقال وهو يلهث: "لستُ قادراً على الجري، عليكم أن تسبقوني وسأتابعكم".

وأما الأطفال فقد كانت معهم الكثير من الحجارة، بل وقد ناولَ أحدهم لذيبي الصغير بضعة حصوات.

وكانت تيسي هتشينسون الآن واقفةً وسط ساحةٍ خالية، وقد مدّت ذراعيها بيأس والقرويون يحيطون بها. قالت: "هذا ليس عدلاً"، وعندها ضرب حجراً جبهتها. قال العجوز ورنر: "هيا بنا، هيا بنا أيها الرفاق". وكان ستيف آدمز واقفاً على رأس الجمهور، وإلى جانبه السيدة غريفز.

صرخت السيدة هتشينسون: "هذا ليس عدلاً، هذا ليس صحيحاً"، ومن ثمّ انهالوا عليها.